إنها الحرب يا غبي



سقط مجرم الحرب الصهيوني بنيامين نتنياهو في الانتخابات، كما سقط أخلاقيًا في حرب الإبادة ضد أهلنا في فلسطين، وسقط بعده بأيام الحزب الجمهوري بقيادة دونالد ترامب، وبات على شفا حفرة أُعدّت له بإحكام، وقد تفضي به إلى بئر بلا قاع بسبب فقده للأغلبية التي كان يتمتع بها في الكونجرس قبل الانتخابات. وبين سقوط هذا وذاك، تبيّن للجميع أن الحرب والعدوان على فلسطين أو إيران أو لبنان من أهم أسباب الخسارة، فهي خسارة مزدوجة ومستحقة لاثنين من أسوأ قادة العالم في التاريخ الحديث؛ فأحدهما تم اتهامه رسميًا بأنه مجرم حرب، والآخر لن يطول بنا الزمن حتى نراه مدانًا يومًا ما، وإن لم تكن الإدانة من محكمة دولية، فيكفيه إدانة محكمة الجنايات الإنسانية.

في مشهد غريب وعجيب وكاشف لمدى معاناة الإدارة الأمريكية من الحروب التي تخوضها تلك الإدارة خارج حدود أمريكا، لخّص جي دي فانس، نائب الرئيس الأمريكي، أسباب الخسارة في انتخابات التجديد للكونجرس الأمريكي، والتي جرت في الثالث من نوفمبر 2026، في أربعة أسباب:

الحرب على إيران، والتي لم تستطع أمريكا حسمها، لا حربًا ولا سلمًا.

التضخم وغلاء المعيشة الذي نتج عن سوء الإدارة وارتفاع كلفة الحرب على المواطن الأمريكي البسيط.

عدم الالتزام بشعار «أمريكا أوّلًا».

تغيير العلاقة مع دولة الاحتلال (إسرائيل)؛ ألا تكون سياسة أمريكا تابعة للكيان.

وهذا يعني، وبصريح العبارة، أن حرب دونالد ترامب الغاشمة على إيران ومساندته للكيان الصهيوني في حرب الإبادة على غزة كانتا وراء الهزيمة الساحقة للحزب الجمهوري.

ليست خسارة المقاعد وحدها هي ما يؤلم الرئيس الأمريكي وأعضاء حكومته، ولكن الأكثر إيلامًا هو فوز المرشح المصري الأصل، الدكتور عبد الرحمن السيد، بمقعد في مجلس الشيوخ، وهو أول مسلم عربي يفوز بهذا المقعد عبر تاريخ أمريكا السياسي. والمشكلة الأكبر ليست فوز عبد الرحمن وحسب، بل فاز معه سبعة مسلمين؛ أربعة منهم عرب، واثنان منهم من أصول مصرية، وثلاثة آخرون من غير العرب، بل تعود أصول بعضهم إلى إفريقيا وأمريكا اللاتينية، ومنهم اثنان دخلا الإسلام بعدما كانا يعتنقان المسيحية.

وليس ذلك كل ما في الأمر، بل إن المصائب التي نزلت على رأس ترامب وفريقه لا تأتي فرادى، بل مثنى وثلاث ورباع؛ فقد واجه الدكتور عبد الرحمن السيد (عبدول)، أو السيناتور عبدول، أكبر رأس سياسي في العالم، وقارعه الحجة بالحجة، والقول بالقول، والنكتة بالنكتة، وأفاض عليه من فيض تراثنا المصري في مواجهة الخصوم، ولكن باللغة الإنجليزية كما ينطق بها أهلها. ولم ينسَ لغته الأم وهو ينادي على نائب الرئيس الأبيض المتغطرس بقوله «حبيبي»، والتي أصبحت «صيحة أو ترند» داخل المجتمع الأمريكي، وطُبعت على التيشيرتات وأغطية الرأس، كناية عن قوة السخرية، ونكاية فيمن أراد أن يتنمر على عبد الرحمن، فجاءه الموت من كل مكان، حتى كدت أسمعه يقول: «الله يخرب بيت اللي يزعلك يا عبدول».

الحرب على إيران كانت أول الأسباب التي طرحها جي دي فانس في تغريدته التي أعلن فيها أن ترامب موافق على ما جاء فيها، والعلاقة سيئة السمعة مع دولة الكيان بسبب الحرب على غزة كانت آخر تلك الأسباب، وما بينهما كان مجرد هامش للتغطية على هذين السببين. لماذا؟

حرب غزة كشفت مدى الانحياز الأعمى وغير المشروط لأجندة الإبادة الجماعية التي يتبناها الصهاينة وأمريكا وعديد من دول الغرب المسيحي.

كشفت حرب غزة عن عدم رغبة الإدارة الأمريكية في وقف الحرب في أي لحظة منذ بدئها، قبل أن تترك لجيش الاحتلال إكمال المهمة، بل وتساعده حتى يكملها.

لم تنجح إدارة ترامب في تنفيذ ما اتُّفق عليه في مؤتمر شرم الشيخ، على مساوئه وانحياز المجتمعين للجانب الصهيوني، ورغم مرور عام كامل، لا يزال الفلسطينيون محاصرين ويتعرضون للقصف وحرب إبادة عبر سياسة التجويع والموت البطيء.

رغم تأثير المال الصهيوني، فقد خسر تقريبًا كل المرشحين المدعومين من الأيباك (AIPAC) في مواجهة المرشحين المناوئين لدولة الاحتلال ولكل السياسات الداعمة لها والمستمرة بلا حدود.

فشل إعلام اليمين الصهيوني في إرهاب الناخبين أو إخضاعهم لرغباته، رغم الحملات الإعلامية الشديدة والشرسة وغير الأخلاقية ضد المرشحين العرب والمسلمين، وحتى المنتمين لليسار التقدمي في أمريكا.

رغم قوة أمريكا الهائلة، والتي لا تُقارن بأي قوة في العالم، فشلت أمريكا ومعها ربيبتها دولة الاحتلال في تركيع إيران، وفشلت في تحقيق أي من أهدافها المعلنة من شن هذه الحرب، وعلى رأسها تغيير النظام وإنهاء الملف النووي وملف الصواريخ الباليستية بعيدة المدى.

الانتخابات الأمريكية كشفت أن العدو في الداخل، وهو الإدارة الأمريكية بكل سياساتها الفاشية والعنصرية والعدوانية، وأن الشعب الأمريكي بات أكثر وعيًا وهو يتعامل مع الحرب والانتخابات. وبسبب الفشل في الحرب، فشل ترامب وإدارته فشلًا ذريعًا جعله يستجدي حلًا سلميًا بعد أن أغلق باب الحلول إلا من ضربة نووية سيكون ضررها على الحلفاء العرب في الخليج أكبر من أن يتم احتواؤه، وخسائرها أكبر من أن يمكن تغطيتها ولو بعد عقود.

الحرب الدبلوماسية والإعلامية التي شنتها إدارة نتنياهو وإدارة ترامب وحواريوهما على المقاومة الفلسطينية، وعلى كل مؤيد ومساند لفلسطين وأهلها، سقطت هي الأخرى رغم ما أُنفق فيها وعليها، وباتت أمريكا ودولة الاحتلال ومن عاونهما من عالمنا العربي المنكوب عرايا لا يسترهم شيء. وقد فوجئت في التاسع والعشرين من أغسطس الماضي بحملة لدعم فلسطين بعنوان «الإمارات تحب فلسطين»، وهي حملة علاقات عامة رخيصة، أرادت سلطة أبو ظبي غسل يديها من دعم الكيان الصهيوني في حرب الإبادة الجماعية، واستعانتها بالسلاح والخبراء الصهاينة في الحرب على إيران، ولكن نجح العقل العربي في فهم المراد وإفشال هذا المسعى الذي أراد أن يركب موجة الدعم الشعبي لفلسطين وغزة، ولكن، وكما قال علي عبد الله صالح، رئيس اليمن الأسبق: «فاتكم القطار»، أو فات الميعاد.

كشفت هذه الحروب عن نقطة قوة مهمة في ذاكرة الشعوب الحرة، وهي أنها لا تنسى ولا تذبل؛ قد تضعف أحيانًا، ولكنها لا تزال تحمل ذكريات الإبادة وجرائم الحرب، ولا تسقط منها بالتقادم. فلو سألت أي مواطن شريف حول العالم عن فلسطين، فسيكون الجواب: «فلسطين حرة»، وفلسطين من البحر إلى النهر، ردًا على شعار دولة الكيان أن إسرائيل من البحر إلى النهر، كما قال نتنياهو وأيده مايك هاكابي، سفير أمريكا لدى دولة الكيان.

كما كشفت هذه الحروب عن كمية غباء غير مسبوقة لدى معظم الساسة والقادة العرب، كما في الغرب أيضًا، وبيّنت هذه الحروب ضعفًا هائلًا في ذاكرتهم، وظنوا أن الحرب كأي حدث سوف تمر بسهولة ودون حساب. وقد يكون هذا صحيحًا لبعض الوقت، ولكنه غير صحيح طوال الوقت؛ فقد اقتربت ساعة الحساب، وإن لم تصدقوني فاسألوا نتنياهو وترامب، فسيكون الجواب هو: «إنها الحرب».